ما رأى الأستاذ الكبير (ا . ع) فى هذا الطراز من شعر الشباب ؟

أين الطريق ؟

[إلى أبى وأمى أسوق الحديث]

للأستاذ على شرف الدين

ملّ الرّحيلَ معفّرٌ أودَى به حظُّ الأديبِ
لم يَبْلُغ الأملَ البَعيدَ ، فمالَ لليأس القريبِ
سِيّانِ يا شمسى ، أنيرِى لى حَياتِى أو فغيبى
وخُذِى من الأفلاك بُرْجَ السَّعدِ أو بُرْجَ الخطوب
لن تشهدى منى السرورَ على الشروق ، ولا البكاء على الغروب
وترفّقى كبدِى – إذا أخفقتُ يوماً – أو قذوبى
نفّضْتُ كفىّ من حَياةٍ – بعد تجربى – كذوبِ
وعَدتْ ، وما برّتْ ، فكانَ الوعدُ كالبرق الخلوبِ
وسئمتُ من ليْلِ الشّبيبةِ ، وانتظرْتُ سَنَا المشيب
وتمرّدتْ نفسى زماناً ، ثمّ ثابتْ من لغوب
مات الشعورُ بها ، فما أنا بالحزينِ ، ولا الطروب
لا يَلمحُ الرائى بها سخط المُشيحِ ، ولا القطوب
إلاّ بقايا مأتمٍ فى الوجهِ يُبديه شحوبى
أشلاء آمال تلوحُ كأنها صَرعَى الحروب
وجراحُ أنّاتٍ تلاشتْ ، واندمَلْنَ على نُدوب
ورفات آهاتٍ تضمّن قبرَها صدْرُ الغيوب
وقناةُ دمعٍ ، لم تزلْ بالخدّ من عهْدِ النحيبِ
وحنين قلبٍ مُلجَم الدّقاتِ ، مكبوحِ الوجيب
نزّاعِ شجوٍ ، دونه فى ناره شجوُ الغريب
وقصيدُ عُمْرٍ ، دامىَ الأوزانِ مجروحَ الضروب
سِفرٌ من الحِكَم الغوالى ، هنّ فلسفة الكروب

* * *

أمّي ، أبى ، أدْعو ، وعند كليكما خير المجيب
أشكو أساى ، وإنها شكوى الحبيب إلى الحبيب

مالى تهبُّ صَبَا الشمال علىّ من صوْب الجنوب ؟
مالى قنِيتُ ، وأقفرَ المخضّلُ من قلبي الخصيب
لا البِشر يدعونى ، ولا أهتز للمرح اللعوب
لا الكأس تغرينى ، ولا البسمات من ثغر شنيب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس ، والصمتِ الرّهيب
وبلغت – من زهدى – الثمانين التى هدت جنوبى
أغضبتما فكبا جوادىَ ، أمْ ترى كثرت ذنوبى ؟

* * *

مَنْ لى بأيام الطفولةِ فى رِحى الصّدر الرّحيبِ
ومَلاعب الأولادِ فى كنفِ المنازلِ والدّروبِ
كانتْ أرقّ من الصّبا ، وأحبّ من نجوَى القلوبِ
رقّافة كالرّوح ، أو كالنّور ، أو طيْفِ الحبيبِ
ريّا كنُوارِ المروجِ يَضوع فى أرَجٍ وطيب
مرّتْ ولم تتركْ سوى جفْنٍ على الذكرى سَكوبِ

* * *

ومُتوّج بالثّلجِ(١) مرهوبِ المفاوِزِ والجيوب
أمْلَى الشّباب علىّ أنْ أرقاهُ فى الزمن العَصيبِ
زَمَنٌ به حِفظُ الكرامة والإباء من العيوبِ
فصمدت لا زادٌ سوى الأعصابِ والفُصحى الهَروبِ
فتمزّقتْ كفّى ، وأدْمَى صَخرُهُ العاتى كُعوبى
والشمس تلفح جَبْهة تنفضُ عن ماء صبيب
وأدور حولى ، لا أرى غير الروابى والسهوب
وتكشفت لى مِحنَةُ الأكفاء فى البلد العجيب
فرجعت مكلومَ الفؤاد بحظّ منسىّ سليب
وكأنما للقَنْطِ والحرمان – من أبنائها – حظّ الأديب

على شرف الدين

(١) الجبل

حكم فى الجنحة ٤٦ عسكرية الجمالية سنة ١٩٤٣ بحبس السيد مصطفى السعداوى أربعة شهور مع الشغل والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لعرضه لبيع خبزاً بأزيد من السعر المحدد